الدرس الرابع عشر

الحل الذي يقدمه الله: كاهن أعلى رحيم

عبرانيين ٤:١٤–٥:١٠

١. مقدمة

سنركّز في هذا الدرس بشكل رئيسي على عبرانيين ٥:٧–١٠ وتفسير القول بأن المسيح هو مصدر (سبب) الخلاص الأبدي. أمّا البنية العامة لهذا القسم فهي:

أ. حضّ لمؤمني العهد الجديد على التمسك باعترافهم بيسوع بصفته المسيّا وعلى الاستفادة من نعمة الله من خلال يسوع كاهنهم الأعلى (عبرانيين ٤:١٤–١٦).

إذا أردنا أن نصل سالمين إلى *راحة الله النهائية*، يلزمنا أن نقترب إلى الله من خلال خدمة يسوع المسيح الكهنوتية. وسيجد الذين يلجأون إليه النعمة والرحمة لمساعدتهم (انظر ٢:١٨). إنه (المسيح) متعاطف، فهو يعرف معنى أن يجرَّب المرء (على الرغم من أنه لم يخطئ الأمر الذي لو حدث لأفقده الأهلية لأن يكون كاهننا الأعلى). وبين ٢:١٧–١٨ و ٤:١٤–١٦ نجد الدرس المتعلق بفشل إسرائيل. ويوحي ذلك الدرس بأن الضعف (والتجربة) المعيَّن الذي عانى منه ذلك الجيل هو عدم الإيمان والتمرد على الله.

ب. مؤهّلات يسوع للخدمة ككاهن أعلى للعهد الجديد (عبرانيين ٥:١–٦)

هذه هي المرة الثالثة التي يشير فيها الكاتب إلى يسوع بصفته الكاهن الأعلى. ولهذا فإنه سيتوقف للحظة لكي يقدم براهين على مؤهلات يسوع ككاهن أعلى، حيث إن دوره هذا حاسم جداً في نجاحنا في الوصول إلى راحة الله.

توضح الآيات ١–٤ عدة سمات لرؤساء الكهنة في النظام اللاوي: (١) كانوا يؤخذون من بين الناس؛ (٢) لم يعيّن أحد منهم نفسه؛ (٣) بما أن كل كاهن كان نفسه خاطئاً (كما دلل على ذلك اضطراره إلى تقديم ذبيحة عن نفسه – لاويين ١٦:٦،١١،١٥–١٧؛ انظر *m. Yoma* ٥:٧ – ٤:٢) فقد أمكنه أن يترفق بالذين يمثّلهم.

ويوجد في الآيتين ٥–٦ استمرار وانقطاع في نفس الوقت مع المسيح. لم يعين الكهنة أنفسهم في العهد القديم. فكان لا بد من تعيين الله لهم في منصبهم. وينطبق نفس الأمر على يسوع المسيح. إذ يقتبس الكاتب مزمور ٧:٢ ومزمور ٤:١١٠ (وهما نصّان مسيّانيان معروفان) ليوضح للقرّاء أن المسيّا لم يعيَّن في منصب ملكي بصفته الابن – الملك الداودي فحسب، بل أيضاً في منصب الخدمة الكهنوتية.[1] وفضلاً عن ذلك، لم تأتِ هذه الخدمة الكهنوتية وفق النظام اللاوي. وإلا لما كانت خدمة يسوع الكهنوتية أفضل من خدمة العد القديم. ولأنه يُدخِل عهداً أفضل (أي العهد الجديد)، فإنه لأمر ضروري أن يكون كهنوته متميزاً عن الكهنوت اللاوي. وهذا هو بالضبط ما سبق أن تنبأ به المزمور ١١٠: سيكون كاهناً وفق نظام ملكي صادق. وسيعود الكاتب في الإصحاح السابع للإسهاب في الحديث حول سبب تفوق هذا الكهنوت على الكهنوت اللاوي (وهذه قضية هامّة له في سعيه إلى إظهار تفوُّق العهد الجديد)، أمّا الآن فيكفي أن يبيّن أن ليسوع، بصفته المسيّا، خدمة كهنوتية معيّنة من الله. وسيطوّر تناوله لخدمة يسوع الكهنوتية في الإصحاحات ٧–١٠.

ج. تكميل يسوع ككاهنٍ أعلى (عبرانيين ٥:٧–١٠)

ستركز بقية الملاحظات على هذه الآيات (انظر القسم ٢).

٢. تكميل يسوع ككاهنٍ أعلى (٥:٧–١٠)

سيبيّن الكاتب الآن العلاقة بين آلام يسوع واحتماله وصبره في خدمته الأرضية والعون الذي يقدر أن يعطيه لمؤمنيه اليوم.

أ. آلام يسوع واحتماله الصبور في خدمته الأرضية (٥:٧–٨)

ليس قراء الرسالة إلى العبرانيين الوحيدين الذين اضطروا إلى مواجهة الصعوبات والامتحانات لإيمانهم في سياحتهم الأرضية. فحتى الابن نفسه مرَّ بمحنة شكلت تجربة قوية له. فكيف نجح يسوع؟ إن الجواب هو: بالصراخ إلى الآب. . . "القادر أن يخلّصه من الموت". فحتى ابن الله الأزلي الأبدي، الخالق، الذي سيكون وارثاً لكل الأشياء وصاحب الهيمنة على كل شيء، تعلَّم أن يلجأ إلى الله من أجل العون. وهنا بدأت خدمته الكهنوتية، لا بتقديم ذبائح حيوانية، بل بتقديم توسُّلات وتضرُّعات (وهو الأمر الذي يشير على الأرجح إلى عذابه ومكابداته على الصليب). لنلاحظ كيف أن كلمة "قدّم" (προσενέγκας) في عبارة "قدّم بصراخ شديد ودموع" تستخدم في ٥:١، ٣ في ما يخص ذبائح الكهنة اللاويين.

[1] يقول لين: "إن الإعلانين الإلهيين المقتبسين في ٥:٥–٦ هما مزمور ٧:٢ ومزمور ٤:١١٠، بينما الاقتباس الأولي في ٥:١–١٤ مأخوذ من مزمور ٧:٢، والاقتباس الأخير مأخوذ من مزمور ١:١١٠. والتشابه العام بين ٥:٥–١٠ و ١:٣–١٣ كافٍ للإيحاء بأن الكاتب فهم أن يسوع أُعلن ابناً وكاهناً إلهياً عند صعوده" (١١٨:١).

لكن بالنسبة ليسوع، كان الآب هو "القادر أن يخلّصه من الموت." والكلمة اليونانية المترجمة إلى "يخلص" هنا هي (σώζω)، وهي كلمة لا تحمل معنىً خلاصياً في هذه الآية، فهي مستخدمة هنا بالمعنى الشائع جداً "ينقذ". فقد صرخ يسوع لكي يُنقَذ أو يحرَّر من الموت، وقد "سُمِع له". على الأرجح أن هذا لا يعني الموت الجسدي، لأن هذا هو نفس السبب الذي جاء لأجله إلى العالم (ومن المؤكد أنه لم يُنقَذْ من موت جسدي). والقول بأنه "سُمِع له" يعني أن الله استجاب له بنعمة وحظوة. كان التحقيق إذاً هو *القيامة* (فقد أُخرِج من عالم الموت من خلال القيامة) و/أو *التمجيد* (رُفِّع وأُجلس عن يمين الآب).

تعلّم الابن *الطاعة* من آلامه (التي وصلت إلى ذروتها في موته على الجلجثة). لم يكن يحتاج أن يتعلم كيف يكون مطيعاً، لأنه لم يكن عاصياً يوماً ما. لكن هذا يعني أنه تعلّم بشكل شخصي كل ما تتضمنه الطاعة، خاصة حقيقة أن فِعل إرادة الله غالباً ما يجلب الآلام. يقول هيوز إن يسوع:

> "كان خالياً تماماً من الخطية التي أساسها هو العصيان؛ وهو لهذا لا يحتاج إلى تعلُّم الطاعة بتأديب التقويم المؤلم. غير أنه بصفته الابن المتجسد الذي يشترك معنا بشكل كامل في بشريتنا، كان أمراً جوهرياً في أهميته لعمله كوسيط وفادٍ أن يحصل على كمال الطاعة من خلال انتصاره الدائم على التجربة، تمهيداً لعمل الطاعة الأعظم على الصليب، حيث قدَّم نفسه للآب ذبيحة عن البشر الخطاة العصاة (١٤:٢ فصاعداً)" (١٨٧).

ب. مصدر الخلاص الأبدي (٩:٥-١١)

غير أن لآلام المسيح تضمينات لنا: "وإذ كُمِّل صار لجميع الذي يطيعونه سبب (مصدر) خلاص أبدي."

فما الذي يعنيه الكاتب بقوله إن المسيح "مصدر الخلاص الأبدي"؟ بعد أن تحدّث عن آلام المسيح التي وصلت ذروتها في موته على الجلجثة، قد يعتقد المرء بأن الكاتب يضع نصب عينيه *الخلاص الشخصي*، أي الخلاص الذي يتأتّى من الإيمان بالبشارة، حيث إن آلام المسيح على الصليب جعلت الخلاص من الخطية أمراً ممكناً. وهذا هو الاستنتاج الذي توصل كثيرون إليه. فمثلاً يعادل هيوز *الخلاص* بالفداء من الخطية. يقول:

> "إنه (يسوع) وليس أي واحد غيره، سبب فداء الإنسان: فالفداء يتدفق منه إلينا. وقد جعل حمْله لنقصنا، والعقاب الذي احتمله واستنفذه، كماله متاحاً لإعادة تأهيل الجنس البشري-لكن مع تحديد أن الخلاص الأبدي الذي هو مصدره واقع لا يختبره إلا *الذين يطيعونه*. وكما يقول وستكوت، فإن "الطاعة المستمرة النشطة هي علامة الإيمان الحقيقي." وينطبق هذا بشكل مباشر على متلقي هذه الرسالة الذين تبيّن طاعتهم علامةً على أن هذا الخلاص الشخصي العظيم لا يخص إلا الذين يثابرون في طاعتهم للمسيح." (Hughes, ١٨٨)

لكن لنلاحظ أن هيوز لا يعادل الخلاص بالفداء من الخطية بحسب. فهو يقول أيضاً إن الخلاص هو فقط لمن يطيعون (وهذه هي عقيدة المصلحين حول مثابرة القديسين). وعلى الرغم من أنه يبدو أمراً معقولاً فهم الخلاص هنا على أنه الفداء من الخطية (حيث إن له هذا المعنى في أجزاء أخرى من العهد الجديد)، إلا أنه من غير المحتمل أن هذا هو المعنى المقصود في هاتين الآيتين.

وفي ما يلي الأسباب المضادة للقول بأن "الخلاص الأبدي" يعني الفداء من الخطية بناءً على كفّارة المسيح:

(١) أولاً، يجب أن نلاحظ كيفية استخدام كلمة "الخلاص" في الرسالة إلى العبرانيين. فمن بين سبعة مرات ترد فيها كلمة الخلاص (١٤:١؛ ١٠،٣:٢؛ ٩:٥؛ ٩:٦؛ ٢٨:٩؛ ٧:١١)، لا تعني بوضوح الخلاص من الخطية. وفضلاً عن ذلك، توجد عدة حالات تعني فيها هذه الكلمة بوضوح شيئاً آخر (انظر ١٤:١؛ ٢٨:٩؛ ٧:١١). ومن هنا يتوجب أن نحذر من الوصول إلى استنتاجات متعجلة حول كلمة "الخلاص".

(٢) قُصِدَ باختبار المسيح في ٧:٥–٨ أن يكون موازياً لاختبار المؤمن. لقد عانى وتألم، وصرخ إلى الآب طالباً العون، "فَخُلِّص." لا يمكن أن يُغفِل خلاصُ ٩:٥ خلاص المسيح نفسه الذي ذُكِر للتوّ في ٧:٥! كان خلاصه إنقاذاً من خلال القيامة للمشاركة في المجد.

(٣) من ناحيةٍ نصية، لم يتكلم الكاتب عن حاجة الخاطئ إلى الخلاص من الخطية. لنلاحظ أن ١٤:٤–١٠:٥ وحدة واحدة (تبدأ وتنتهي بالتوكيد على المسيح بصفته الكاهن الأعلى). بدأت هذه الوحدة بحضّ المؤمنين على *التمسّك باعترافهم* (لا على إعادة فحص اعترافهم) واللجوء إلى عرش النعمة من أجل الحصول على عون في التعامل مع ضعفهم.

(٤) يجب أن يُنظر إلى الطاعة المذكورة في الآية التاسعة في ضوء الآية الثامنة. ففي الآية التاسعة نجد صيغة الفعل (ὑπακούω) ("يطيع")، أمّا في الآية الثامنة فنجد صيغة الاسم من (ὑπακοή) ("الطاعة"). وهكذا فإنّه يُقصد بأن يُنظر إلى *طاعة المؤمن* في الآية التاسعة بالمقارنة مع *طاعة المسيح* في الآية الثامنة. وليس الحديث هنا عن الطاعة بشكل عام، بل عن *الطاعة المرتبطة بالآلام* في سياق الأمانة لله!

(٥) يجب أن ينظر إلى عبرانيين ٩:٥ في ضوء تشابه الفكر مع عبرانيين ١٠:٢.

١٠:٢ "لاق. . . أن يكمِّل (τελειῶσαι) رئيس خلاصهم (σωτηρίας) بالآلام."

٩:٥ "وإذ كُمِّل (τελειωθεὶς) صار لجميع الذي يطيعونه علّة [٢] (السبب المسؤول) خلاص أبدي." (σωτηρίας).

---

[٢] تستخدم الكلمة اليونانية (αἴτιος) المترجمة إلى "مصدر" خمس مرات في العهد الجديد، ويمكن أن تعني "الذنب" (لوقا ٢٣:٤،١٤،٢٢) أو العلّة أو السبب المسؤول عن إيجاد شيء (تستخدم في أعمال ١٩:٤٠ للحديث عن سبب الشغب). ومعنى "السبب" ومستخدم في الترجمة السبعينية في ٢مكابيين ٤: ٤٧؛ ١٣: ٤ و بيل والتنين ٤٢.

لا توجد علاقة بين "تكميل" المسيح بطبيعة المسيحية الأبدية الخالية من الخطية. فالتكميل يشير إلى عملية الآلام التي خاضها، لكي يختبر بشكل كامل معنى الطاعة الحقيقي. اختبر مثل هذه الطاعة واجتاز الامتحان بنجاح، ممّا هيّأه للقيام بدور الكاهن الأعلى.

تناول سياق عبرانيين ٢:١٠حق الإنسان الأصلي في ممارسة الهيمنة على خليقة الله والكيفية التي أعاد بها يسوع هذا الحق للإنسان. لا يمارس الإنسان حالياً حق الهيمنة هذا (٢:٨)، لكنه سيكون من نصيب أولئك الذين يشتركون مع المسيح في الخلاص المستقبلي في "العالم العتيد (الآتي)" (٢:٥). وهكذا نفهم الإشارة إلى عبرانيين ١:١٤ حول "وراثة الخلاص" على أنها إلى مشاركة مستقبلية أخروية في ميراث المسيح وممارسة الهيمنة تحت حكمه الملكي.

تفسير أكثر معقولية

في ضوء العوامل السابقة، فإن الفكرة من وراء الآية التاسعة ليست هي الخلاص من جزاء الخطية. فالكاتب يقول إن المسيح كُمِّل بالطاعة من أجل دوره من خلال الآلام (التي اختبر منها "خلاصاً"). والآن هو في موقف يستطيع منه أن يعين "اخوته" (المؤمنين الذين تبرَّروا بالفعل)... الذين يُؤتى بهم إلى "المجد" (٢:١٠). ويمكننا أن نحصل على هذا "الخلاص الأبدي" (خلاص أخروي نشترك فيه بميراث المسيح وممارسة السلطة)، لكن بشرط أن نطيعه. يمكنه أن يجعلنا نكسب هذا الخلاص المستقبلي... وهو خلاص ذو قيمة لأنه "خلاص أبدي" (ميراث لن يُنتزع منا؛ إنه "ميراث أبدي" في عبرانيين ٩:١٥). ويوحي هذا بأن تخلّينا عن اعترافنا (رمز طاعتنا) سيعرّض هذا الخلاص الأخروي للخطر. والدعوة إلى "طاعته" من أجل الخلاص متبوعة مباشرة في عبرانيين ٥:١٠ بالتذكير بأن يسوع موجود لنا دائماً بصفته كاهننا الأعلى. وبعبارة أخرى، فإن هذه الطاعة ممكنة من خلال الاعتماد عليه بصفته الكاهن الأعلى (انظر ٧:٢٥). وإذا كان لا بدّ لنا من التألم أثناء ذلك (كما تألم المسيح نفسه)، فإنه ينبغي أن نتذكر أن "الكاهن الأعلى يفهم ذلك، وأنه يتعاطف، ويتيح 'الرحمة' و 'النعمة' اللتين نحتاجهما لكي نحتمل ذلك بنجاح" (هودجز، ص ٧٩٢).